

من أعلام القضاء

فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن محمد الصيرامي

قاضي الدلم وعموم الخرج (١٢٥١ - ١٣٤٥هـ).

إعداد

حمد بن عبدالله بن خنين

هو العالم العابد الورع تذكرة السلف، يعتبر من الرعيل الأول من القضاة الذين كان الناس يلجأون إليهم في فض المنازعات وحل الخلافات دون الحاجة إلى استدعاء أو مواعيد فينتهون إليهم ولا يخرجون من عندهم إلا وقد رضي كلُّ بما سمع من حكم. فالمتنازعون يذهبون إلى القضاة اختياراً وينزلون عند أحكامهم طواعية ونفوسهم راضية ولم تكن خلافاتهم تفسد الود بينهم. وفضيلته إلى جانب علمه الشرعي كان يملك من الحكمة والمعرفة بالعادات والتقاليد والأعراف ما يعينه على إصلاح ذات البين والفصل في المنازعات والخلافات بما يرضي جميع الأطراف وهو في كل ذلك لا تأخذه في شرع الله لومة لائم.

بلغ من العلم مبلغاً كبيراً، وكان مثلاً للعدالة والنزاهة، ثلاثون عاماً قضاها في خدمة القضاء، ولم يشغله ذلك عن العلم والتعليم، كان من كبار العلماء في عصره ومصره، له أكبر الأثر وأعظم النفع إبان توليه قضاء الخرج في قاعدتها الدلم، له مواقف مثلى في زمن تأسيس المملكة، جعل الله في عمله البركة وفي تعامله قمة الصلاح، فهو بحق عالم لا يعرف مكانته في العلم إلا عالم مثله، تتعثر الكلمات في وصفه وتتحطم الجمل في تدوين سيرته، حتى أصبح مضرب مثل (كن صيرامياً وإلا فاسكت)!

اشتهر بالخط الجميل ومعرفة التاريخ والأنساب، له مخطوطات عديدة، خط القرآن وأجاد ونقش نونية ابن القيم، حتى تواتر عن أسرته واشتهر بإجادة الخط، رحمك الله يا أحد هامات العلم والقضاء وغفر لك، فلا زلت منقوشاً في الأذهان يردد اسمك وسيرتك وأفعالك الأجيال عبر الأجيال، ويسرنني أن أقدم هذه الترجمة لأحد أعلام القضاء السابقين والبارزين.

نشأته وتعليمه :

هو العالم العابد الورع فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن محمد الصيرامي، ولد في مدينة الدلم عام ١٢٥١هـ، ونشأ في حجر والدته، حيث توفي والده وهو صغير السن، وكانت والدته امرأة صالحة صوامة قوامة، توفيت وهي صائمة، فشب تقياً صالحاً فأخذ مبادئ القراءة والكتابة، وقرأ القرآن الكريم عند أحد قراء الدلم المدعو سعد الحميدي، وبعد ذلك سافر إلى الرياض وحفظ القرآن عن ظهر قلب، وقرأ على الإمامين الجليلين الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، وقد اشتهر عن شيخه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن أنه قال لأحد الطلبة الذي يقرأ بعده: (كن صيرامياً وإلا فاسكت)، وقد قرأ على شيخه في الجامع الكبيرة لحسن صوته وجودة قراءته، فإذا قرأ القرآن كأن السامع لم يسمع القرآن قبل تلاوته. وكان ذا معرفة بالتاريخ والأنساب وله خط جميل ومشهور، وصبر على الكتابة، وقد أشار أحد كتّاب مجلة العرب إلى ذلك بقوله: (وآل الصيرامي في الخرج مشهورون بإجادة الخط)، وقد كتب تفسير الإمام الجليل محمد بن جرير الطبري وقابله عليه ابنه محمد، وله مخطوطات كثيرة، كما أنه قد كتب برأس قصبه من سورة الفاتحة

إلى سورة الإسراء وكانت كتابتهم آنذاك بالقصب، ومن مخطوطاته نونية الإمام ابن القيم وكتاب (قرة عيون الموحدين) لشيخه الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

عمله في القضاء :

لما بلغ من العلم مبلغاً كبيراً عاد إلى بلده الدلم بالخرج، وفي سنة ١٣١٥هـ عين قاضياً في الدلم ونواحي الخرج وخطيباً لجامع الدلم وإماماً لأحد مساجدها، وذلك بعد أن أقعد المرض الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب وكف بصره، فحل مكانه. فكان مثلاً للعدالة والنزاهة وقد سدد في أقضيته واشتهر بأنه كان يقضي بين المتخاصمين في وقت وجيز، وقد استمر الشيخ في قضاء الدلم ونواحي الخرج ثلاثين عاماً حتى توفي، وتولى القضاء في الدلم بعد وفاته الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السالم من أهل منفوحة بالرياض وذلك في الفترة من ١٣٤٦هـ حتى ١٣٤٩هـ، حيث جلس للتدريس في جامع الدلم وكان بارعاً في علم الحديث فدرس عليه عدد كبير من الطلاب ونفع الله بعلمه خلقاً كثيراً.

تدريسه وطلبته :

لم يشغله القضاء عن التعليم فأخذ العلم عنه عدد كبير منهم أولاده صالح ومحمد وعيسى وناصر، ومن أخذ العلم عنه كذلك: الشيخ عبدالله بن ناصر بن بخيتان والشيخ عبدالعزيز بن عثمان بن هليل والشيخ عبدالعزيز بن محمد بن جلال والشيخ عيسى بن زيد الزير والشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز الشعبي والشيخ سعد بن ناصر المطوع وغيرهم من طلبة العلم.

مكانته في العلم:

هو من كبار العلماء الذين جعل الله في علمهم البركة وفي سعيهم الصلاح، والعمل الصالح من الرجل الصالح يكون له أكبر الأثر وأعظم النفع، وقد ذكر الشيخ صالح بن سليمان بن سمحان بأن والده المؤلف الشهير الشيخ سليمان بن سمحان قال له إن الشيخ عبدالعزيز الصيرامي عالم لا يعرف مكانته في العلم إلا عالم مثله، وكانت أوقاته في غير القضاء معمورة بالتلاوة والذكر والصلاة والمحافظة على الأوراد، فكان له حزه في اليوم واللييلة من القرآن.

غيرته الدينية:

كان ذا عقل ودهاء وأناة وصاحب غيرة دينية، فعندما سأل الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد عن رد سليمان بن عبدالوهاب على أخيه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أجاب قائلاً: علامة الإيمان حب الأنصار وعلامة النفاق بغض الأنصار.

مواقفه مع الملك عبدالعزيز:

للشيخ عبدالعزيز مواقف مع جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، منها: أن الملك عبدالعزيز لما علم ان ابن رشيد قد خيم بين نعيان والدم نهض بمن معه وسرى ليلاً ووصل إلى الدلم وقصد الشيخ في بيته قبيل الفجر فصلى وأخذ راحته عنده حتى الظهر، وذكر ذلك مؤلف كتاب الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ولما اطمأن الملك عبدالعزيز على أهل الدلم ورأى مكافحتهم لابن رشيد رحل إلى حوطة بني تميم.

ومنها: أنه لما كتب ابن رشيد لأهالي الدلم يريد الصلح أحضر الشيخ عبدالعزيز الصيرامي أعيانه وأوصاهم بالصبر والمدافعة عن بلدهم.

صفاته وسماته :

كان هادئ الطبع لين الجانب، سريع الإحساس، حاضر البديهة، ذكي الفؤاد، يشعر جليسه بالمحبة والطمأنينة والألفة، سريع في إدراكه، قوي في رأيه، مقدراً لولاة أمره مثنياً عليهم بالخير والفضل، يدرك جليسه منه أن لديه من الثقافة الواسعة ما يجعله رمزاً من رموز العلم والمعرفة، جمع بين العلم الشرعي الأصيل وبين القدرة العملية المتمكنة، كان أميناً حريصاً على المحافظة على ما أوتمن عليه، كان حليماً، صبوراً، وقوراً، متواضعاً، كريماً، عفيفاً، شكوراً لنعمة الله، سليم الصدر، محباً لتلاوة القرآن، واصلاً لأرحامه، كان عطوفاً رحيماً، سمحاً بشوشاً، مضيافاً، وبابه مفتوح، ورجل قرآني في أخلاقه، وتعامله، وحبیب للناس، ومحب لهم، يقدر الصغير والكبير، ويأنس به كل من عرفه، سليم الصدر، سمح في تعامله وعلاقته بالناس، عزيز النفس، زاهد في الدنيا، حسن الخلق ولين الجانب بالسؤال والتحفي ومتابعة أحوال القريب والبعيد من معارفه. بقي في أذهان من يعرفه صورة مشرفة، وكانت أوقاته في غير القضاء معمورة بالتلاوة والذكر والصلاة والمحافظة على الأوراد فكان حزبه في اليوم والليلة من القرآن عشرة أجزاء فلا يمل من ذلك ولا يفتر. وكان ذا عقل ودهاء وأناة وصاحب غيره دينية.

ومن سماته الزهد والقناعة باليسير وكان هذا متمثلاً في سمته وملبسه ومسكنه ومركبه، يدرك ذلك من رآه أو جالسه، كما يتصف بالورع والخشية وهذا يظهر على محياه وعباداته وتصرفاته، له فراسة إيمانية يعرف بها صدق الرجال ومواهبهم

حين يتعامل معهم أو يتقاضون إليه.

وفاته:

استمر الشيخ في قضاء الدلم ونواحي الخرج ثلاثين عاماً حتى توفي في النصف من شهر شعبان عام ١٣٤٥هـ وله من العمر أربعة وتسعون عاماً وصلى عليه بجامع الدلم جمع غفير ودفن في مقبرة الدلم - رحمه الله تعالى - ، وعمّ الأسى والحزن وصار الناس يعزي بعضهم بعضاً لأن مصابه عم فيهم . وقد خلف ستة من الأبناء وهم: صالح ومحمد وعيسى وناصر وعبدالله وعبدالرحمن ، بارك الله فيهم ونفع بهم .

مما قيل فيه :

قال فيه الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان وفي ابنه محمد أبياتاً في كتابه المسمى بـ(مجموعة النفايس الشعرية والغرائب الشهية) والذي طُبع عام ١٩٧١م:

همت أعين حرى من الدمع دائم	على المرتضى عبدالعزيز الصيارم
من العلماء والعاملين بعلمهم	فكن صيرامياً إثر هاد وصارم
شهير بعلم الأولين وعالم	بكل علوم الآخرين المفاهم

وقد ترجم له حفيده الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز الصيرامي وهو من أهل العلم البارزين ، يحفظ كثيراً من المتون والأشعار وله معرفة ودراية بالتاريخ واطلاع واسع في الكتب على اختلافها ، وقد عمل في محكمة التمييز بالرياض ما يزيد على عشرين عاماً حتى تقاعد في عام ١٤١٣هـ وهو خطيباً

لجامع الشواعر بالرياض.

كما ترجم له الأستاذ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد البراك في كتابه (علماء وقضاة الدلم)، والذي طبع عام ١٤١٥هـ.
رحم الله شيخنا وأسكنه فسيح جناته..